PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

تكنولوجيا الاتصال وآليتها في اختراق الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية

Communication technology and its mechanisms to penetrate the cultural specificity of Arab societies

حنان بوطورة

مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية.جامعة20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)،

h.boutora@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 31/ 10/ 2021 **تاريخ القبول**: 15/ 12/ 2021 **تاريخ النشر**: 31/ 12/ 2021

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الآليات التي تعمل من خلالها تكنولوجيا الاتصال الحديثة على اختراق الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية من خلال انتاج هوية عالمية استهلاكية هجينة، وللإجابة على تساؤلات الدراسة وبلوغ أهدافها تم استخدام المنهج الوصفي.

وقد توصلنا إلى استنتاجات أهمها: أن الاختراق الثقافي كأحد مفاهيم الهيمنة الثقافية المعاصرة للثقافة الاستهلاكية وسيلة تستخدمها الرأسمالية العالمية لاختراق منطق خصوصية الثقافات بالعالم خاصة الثقافة العربية بهدف انتاج سوق استهلاكية ثقافية عالمية تمكنها من الزيادة في تراكم رأس المال بعيدا عن أي مفهوم للخصوصية أو الثوابت، وهو ما جعلها تستخدم مجموعة من الآليات لبلوغ هدفها يتم تطبيقها من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة، لعل أهمها التسليع الشامل، التغيير المستمر، اغراق الفضاء العام بقضايا الفضاء الخاص، ترسيخ مبدأ الاستهلاكية كنظام اجتماعي.

كلمات مفتاحية: الاختراق الثقافي؛ تكنولوجيا الاتصال؛ الثقافة الاستهلاكية؛ الخصوصية الثقافية.

Abstract:

This study aimed to identify the mechanisms through which modern communication technology penetrates the cultural specificity of Arab societies by producing a hybrid consumer international identity.To answer the study's questions and achieve its objectives, the descriptive approach was used.

We have reached conclusions, the most important of which are: Cultural penetration as a concept of contemporary cultural dominance of consumer culture is a means used by global capitalism to penetrate the logic of world's culturesspecificity, particularly culture, with the aim of producing a global cultural consumer market that enables it to increase capital accumulation beyond any concept of privacy or constants.This has led it to use a range of mechanisms to achieve its objective that are applied through modern technologies, perhaps the most important of which are: comprehensive commodification, continuous change, flooding public sphere with private sphere issues, and establishing the principle of consumerism as a social system.

Keywords*:* *cultural penetration; communication technology; consumer culture; cultural specificity.*

I. مقدمة

تتشكل الثقافة باعتبارها الطرق التي يوجدها المجتمع لسد حاجاته الأساسية وتقوم بتنظيم علاقاتها الاجتماعية، من مجموعة من العناصر التي تكون نسقا مترابطا فيما بينه يحدد رؤية هذه الجماعة لأنفسهم أولا وللعالم حولهم من ناحية أخرى، ومن خلال ما تمنحه هذه الثقافة من تصورات فكرية ودلالية للعالم من حولهم يحددون أهدافهم وطموحاتهم وكذا الوسائل والأدوات التي يحققون من خلالها هذه الأهداف والطموحات لإشباع حاجاتهم الأساسية فكرية كانت أم مادية.

وتوجد الثقافة من خلال كونها نظام من المعايير والقوانين والعادات والأخلاق والقوانين الثابتة نسبيا والمشتركة بين أفراد الجماعة داخل المجتمع معين معنا مشتركا من خلال جملة من العناصر الثابتة نسبيا بصورة تمكن الجماعة من الرجوع إليها كمنطلق للتفكير وانتاج الرموز وتنظيم السلوكيات والمراكز والأدوار الاجتماعية للأفراد، وبذلك تتشكل هوية مشتركة للجماعة تجعلها تتعرف على ذاتها كمقابل للآخر المغاير لها في العناصر القاعدية وطريقة تنظيمها لتشكل المعنى المشترك والمميز لهم.

وبالتالي تعتبر الهوية الثقافية ركيزة أساسية للحفاظ على بقاء واستمرار وحدة الجماعة ومنه الحفاظ على بقاء وتوازن واستمرار المجتمع الذي ينتمون له، ولكل مجتمع هوية ثقافية، ومن شأن كل هوية أن تكون فريدة وأن تكون لها معالمها وملامحها المميزة التي صارت المجتمعات اليوم ومنها العربية تستخدم نظامها الإعلامي كمعلم لنقلها ونقل التراث الاجتماعي والثقافي من جيل لآخر، إذ تؤثر تقنيات تكنولوجيا الإعلام والاتصال المختلفة اليوم بما تنشره وتعرضه من معلومات وحقائق وأخبار ووقائع وآراء وأفكار لتحيط الناس عامة بموضوعات معينة من السلوك مع إتاحة فرصة الترفيه والترويح وقضاء وقت الفراغ. ويزداد أثرها تعاظما وأهمية في المجتمع من خلال ما تعمل عليه من اشباع للحاجات النفسية والاجتماعية إلى تقديم بعض المعلومات ودعم الاتجاهات وتعزيز القيم والمعتقدات أو المساهمة في تعديلها.

غير أن تعاظم أهمية هذه الوسائل والتكنولوجيات كمصدر من مصادر بناء الثقافة خاصة في السنوات الأخيرة التي شهدت انفجار الثورة المعلوماتية المتعددة الآليات والمتنوعة المجالات، خاصة بعدما صارت الملاذ للكثير من الفئات العمرية من الأجيال الجديدة لإشباع ما عجزت الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق عن إشباعه من حاجات، والتزايد الشديد في سرعة تطورها واتساع دائرة انتشارها وارتباطها الوثيق بتكنولوجيا المعلومات وما كان لذلك من أثر واضح في الهوية الثقافية للمجتمعات بصورة جعلت المحافظة على هذه الهوية وحمايتها واحدة من قضايا العصر، دفع الكثير من المفكرين للحديث عن غزو ثقافي تحمله تكنولوجيا الاتصال للدول والمجتمعات النامية خاصة البلدان العربية لما تحمله خصوصيتها الثقافية من منطلقات تتعارض مع الطابع النفعي الاستهلاكي للثقافة الجماهرية التي صارت تقوم عليها أغلب المحتويات الثقافية التي تعرضها هذه التكنولوجيا الحديثة.

وعليه يشتغل هذا العمل على ايجاد اجابة للتساؤل التالي:

ما هو الدور الذي لعبته تكنولوجيا الاتصال الحديثة في بروز أشكال الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم صياغة الأسئلة الفرعية التالية:

ماهي أشكال الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية؟

ماهي تداعيات الثقافية لتكنولوجيا الاتصال الحديثة على المجتمعات العربية؟

ما هو دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في ظهور أشكال الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية؟

ماهي مستويات تداعيات تكنولوجيا الاتصال على الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية؟

أهداف الدراسة:

وانطلاقا مما سبق تتحدد أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

- التعرف على أشكال الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية.
- التعرف على تداعيات الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية من خلال تكنولوجيا الاتصال الحديثة على بناءها الاجتماعي.
- التعرف على دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في ظهور أشكال الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية مستويات
- التعرف على تداعيات تكنولوجيا الاتصال على الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية

- **أهمية الدراسة:**

تتأتى أهمية هذه الدراسة من أهمية المتغيرات التي تعمل على دراستها، حيث تشكل ظاهرة الاختراق الثقافي خطرا كبيرا على المجتمعات العربية بحيث تهدد تماسكها واستقرارها واستقلالها الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي وحتى السياسي، وفي ظل التداعيات الثقافية لوسائل الاعلام والاتصال والتي تعمل على الترويج لنمط محدد وموحد من المبادئ والقيم والعادات وأنماط السلوك الغربية باستخدام كافة الوسائل المتاحة لبلوغ الأهداف الثقافية التي روجت لها الحداثة الغربية كأهداف عالمية دون النظر للخصوصية التاريخية والثقافية للمجتمعات المختلفة، ولعل من أهم هذه الوسائل تكنولوجيا الاعلام والاتصال الحديثة التي سهلت نقل هذه القيم والمبادئ والأفكار للمجتمعات العربية وعملت من خلال العديد من الآليات العملية على ترسخيها ضمن البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات خاصة ضمن البناء الثقافي الذي يعد ركيزة أساسية تتحكم في تسيير باقي مظاهر الحياة الاجتماعية.

- **منهج الدراسة:**

انطلاقا من طبيعة موضوع الدراسة والأهداف المصاغة يتضح منهج الدراسة وهو المنهج الوصفي.

أولا: مدخل مفاهيمي

1-مفهوم الخصوصية الثقافية:

تعدد مفهوم الخصوصية الثقافية بتعدد المناهج والمداخل الفكرية التي يقارب من خلالها كل باحث هذا المفهوم، ومبدئيا يقصد بمفهوم الخصوصية التمايز عن الآخر والاتصاف بملامح ذاتية تختلف عنه، وعلى المستوى القيمي، فانه يعني الوعي بالذات وحقيقة تميزها في مواقفها الوجدانية والعقلانية على حد السواء، وبهذا المعنى فان الخصوصية مفهوم عالمي وليس محلي، وقد ظل استخدام مفهوم الخصوصية الثقافية قرين الاستخدام السياسي والايديولوجي من قبل النخب التي تتبنى المفهوم،(بشير عبد الفتاح، د.ت، ص،ص 8، 10)

1.1-عناصر مفهوم الخصوصية الثقافية:

هناك العديد من المؤشرات التي يمكن أن تحدد مفهوم الخصوصية الثقافية ومنها مايلي:

1.1.1-سؤال الهوية:

يقول **نوربرت إلياس**:" ليست هناك هوية للأنا دون هوية للنحن"(كلود دوبار ،2008،ص41) .

على الرغم من انحصار هذا المفهوم في كلمتين وهما " من نحن؟" ، إلا أنه من الأسئلة الكبرى التي تأخذ جهدا كبيرا من أهل العلم، لأنه من المسائل المصيرية التي تسببت في تهديد مستقل العديد من المجتمعات بالزوال وكانت منطلقا لحروب طاحنة أهلية أو خارجية، ويعد سؤال الهوية سؤالا عالميا لا يشغل فقط العرب والمسلمين وإنما كافة المجتمعات والثقافات دون استثناء، والحديث عن سؤال الهوية هو الحيث عن علاقة

الأنا والآخر، وفي قواميس الفكر الأوربي يعد مفهوم الغيرية من المفاهيم الأساسية التي تقال في مقابل الأنا أو الذات، وهذه الأخيرة أي الذات لا وجود لها سوى أنها المقابل للآخر تقابل تعارض وتضاد، أو أنها المطابق لنفسه المعبر عنه الهوية أو العينية، ومعنى ذلك أن مفهوم الغيرية في الفكر الأوربي ينطوي على السلب والنفي، أي أن ما يؤسس مفهوم الغيرية في الفكر الأوروبي ليس مطلق الاختلاف، كما هو الحال في الفكر العربي، إنما الأنا لا يفهم إلا بوصفه سلبا ونفيا للآخر، ويكون الآخر موضوعا للسيطرة ، أو قنطرة تتعرف من خلالها الذات على نفسها حيث يقول **سارتر**: "أنا في حاجة إلى توسط الآخر لأكون ما أنا عليه".(بشير عبد الفتاح ،2007 ، ص،ص 11،13)

ورأى المفكر **ناصر أبو حامد الغزالي** أن بعض المفكرين العرب قد اختزلوا مفهوم الهوية في الدين مما جعله ثابتا غير قادر على النمو والتطور(بشير عبد الفتاح ،2007، ص15)

أما المفكر **أبو زيد** فيذهب إلى أن سؤال الهوية يعكس نوعا من قلق الذوبان في الآخر الغربي الذي يهيمن على حركة التاريخ منذ عدة قرون، كون الهوية حالة تنسب للماضي، كما أنه يحيل إلى العشرات من الأسئلة الفرعية الأخرى، لذا لا يمكن حصره في مقولات ثابته، ومن الضروري حسبه أن يوضع سؤال الهوية من أولويات الثقافة العربية لتحريره من سجن التعصب والتوظيف الايديولوجي، فسؤال الهوية يعبر عن وجود أزمة ثقافية واجتماعية تطرح جملة من المشكلات التي وجب التعامل معها لإيجاد مخرج من سؤال الهوية ومنها. (بشير عبد الفتاح ،2007، ص 15)

ويرى أبوزيد أن العدوان الغربي والأطماع الغربية هي التي أسهمت في تنمية العداء في الوعي الجمعي الإسلامي لكل ما يأتي من الغرب. وعن سبب الربط بين سؤال الهوية والدين في الوطن العربي فيرجعه أبو زيد لثلاث أسباب: (بشير عبد الفتاح ،2007، ص- ص 16-17)

الحروب الصليبية التي امتدت من القرن العاشر إلى القرن الحادي والعشرين، وما حملته من بعد ايديولوجي.

الاستعمار الحديث وما كان محملا به من حمولة دينية ايديولوجية.

مشكلة التخلف بالعالم العربي التي أفرزت نوعا من القراءة ذات الطابع الانتقائي للنصوص الدينية سعت إلى ألا توجد نوعا من الارتباط الشرطي بين التخلف والدين فكان موقفها دايما رد فعل وليس فعلا.

2.1.1-سؤال التراث:

تنوعت الآراء وتعددت حول الموقف من التراث وعلاقته بالخصوصية الثقافية، من الباحثين من وضع التراث موضع الذات فجعله فوق النقد، ومنهم من تعامل معه على أنه ذاكرة الأمة التي ينبغي أن تكون حاضرة دائما، وهناك من وضعه موضع الفرز والتمحيص فيفرق بين الدين والعرف، وبين الشريعة والفقه، وبين ثوابت الدين واجتهادات الفقهاء، في حين رفض البعض الآخر التراث نهائيا واعتبره عبء ثقيل على النهضة لابد من التخلي عنه كي لا يعيق مسيرة المجتمع نحو التحديث والمدنية (بشير عبد الفتاح ،2007، ص-ص20-21)

3.1.1-سؤال الواقع:

لا يقتصر حديث الخصوصية الثقافية على الماضي والمستقبل وانما ينشغل أيضا بالحاضر أين تعمل التيارات الفكرية المختلفة على نقد او الدفاع عن الواقع من خلال طرح التساؤلات المهمة مثل تساؤل شكيب أرسلان بشأن: لما تخلف المسلمون وتقدم غيرهم؟ وسؤال برنارد لويس: ما الخطأ الذي حدث؟(بشير عبد الفتاح ،2007، ص21)

4.1.1-سؤال المستقبل:

من هذا التساؤل يمكن للباحث أن يناقش كيف ترتبط الأسئلة السابقة ببعضها البعض وكيف تؤثر في النهاية في سؤال الهوية.(بشير عبد الفتاح ،2007، ص،ص 21،22) .

2-مفهوم الاختراق الثقافي:

يذهب **باسم علي خريسان** إلى أن الفرق بين مفهوم الاختراق الثقافي والغزو الثقافي لا يمكن في الهدف وإنما في الوسيلة حيث أن الغزو الثقافي ارتبط بمرحلة السيطرة الأوربية المباشرة على العالم، في حين ارتبط مفهوم الاختراق الثقافي بالتطور التقني في مجال الاتصالات والمعلومات بعيدا عن استخدام القوة العسكرية(لمياء طالة، 2014، ص40)

فالاختراق الثقافي في تصوره هو مرحلة جديدة للغزو الثقافي لا يقف خلفها مدافع الاستعمار، ولا أجهزة الدعاية المقاومة للشيوعية، بل يقف وراءها التطور الهائل الذي عرفته وسائل الاتصال السمعية والبصرية، والتي مكنت من اختراق البيوت وممارسة الهيمنة الثقافية على بلدان العالم الثالث.

ومن ذلك يكون الاختراق الثقافي هو:" حركة انتقال الأفكار والقيم والعادات الغربية بشكل مكثف وغير مسيطر عليه إلى المجتمعات العربية، وما يماثلها في دول العالم الثالث، كما يمثل سياسة واستراتيجية للتدخل في شؤون الغير بقصد التأثير في ثقافتهم وسلوكياتهم ومعتقداتهم، تدخلا كليا أو جزئيا بمختلف الوسائل(لمياء طالة، 2014، ص41)

1.2-مفاهيم مرتبطة بالاختراق الثقافي:

1.1.2-الغزو الثقافي:

يقول عنه الدكتور **أحمد أبو مطر** أنه من أحدث الأساليب الامبريالية لضمان فرض الهيمنة والتبعية، حيث يتم استخدام الاعلام الدولي بهدف تحقيق السيطرة الثقافية للدولة الامبريالية من خلال مساعدتها على التغلغل الثقافي ونشر مفاهيم وأفكار تعمل على مسح الثقافة الوطنية وتشويهها والاقناع بأنها ثقافة متخلفة لا تواكب العصر وتحدياته، فيصبح كل ما يأتي منها من عناصر ومعطيات فكرية وثقافية تصور على أنها عناصر ونماذج متفوقة والنمط الذي يجب أن يقلد ويحتذى به في كافة مناحي الحياة (مختار مفتاح السنوسي، 2008، ص27)

ويربط فريق من أساتذة وخبراء الاتصال الجماهيري بين مصطلحي الغزو الثقافي والاتصال الثقافي ويقصد بالثاني – الاتصال الثقافي-، اتصال ثقافي بثقافة أخرى أو بيئة ثقافية أخرى أو بحضارة أخرى أو بيئة حضارية بغض النظر عن مستوى الثقافة أو درجة التطور الحضاري لدى المتصل به.

ويبين **الدكتور محمد سيد محمد** أنه إذا كان الغزو الثقافي والاتصال الثقافي يشتركان في استخدام وسائل الاعلام، إلا أنه يوجد ثلاث فروق أساسية بينهما يعددها فيما يلي: (مختار مفتاح السنوسي، 2008، ص،ص 29، 30)

1-الاكراه أو الاخضاع في الغزو الثقافي، وفي المقابل التلقائية أو الايجابية في الاتصال الثقافي.

2-خلق الاستعداد للانفصال عن الجذور الثقافية والحضارية الوطنية بل والتنكر لها واحتقارها في الغزو الثقافي، وفي المقابل خلق روح الانتقاء والمفاضلة في الاتصال الثقافي.

3-صياغة العقول في الغزو الثقافي، وفي المقابل الاضافة واستكمال البناء العقلي في الاتصال الثقافي.

كما يستبدل فريق آخر من أساتذة وخبراء الاعلام مصطلح الغزو الثقافي بمصطلح الاختراق الثقافي، حيث تقول الدكتورة **سوزان القليني** أن الاختراق الثقافي يعد أحد القضايا التي ترتبط بالإعلام الدولي، ويقوم على محاولة التأثير في المواقف والاتجاهات، وكذلك التأثير الثقافي والمحاولات المتعمدة لتشويه الحقائق والمعلومات وتزييف صورة الحياة، وبث الأوهام والأنماط الجديدة من المعتقدات والسلوكيات غير المألوفة في الدول المختلفة.

2.1.2.الغزو الفكري:

أشار **صابر طعيمة** إلى أن الغزو الفكري للعالم العربي والاسلامي خاصة بدأ عبر مراحل شرع في تنفيذها منذ أوائل القرن العشرين ميلادي من خلال الغزو الاعلامي ، أي أن بداية الغزو الفكري بشكل جاد وتطبيقي كانت من خلال وسائل الاعلام التي سعت إلى بث وتنمية اتجاهات غريزية وميول عدوانية عنصرية بين طبقات المجتمع الإسلامي من خلال ما تبثه من أخبار الجريمة وصورها بالمجتمعات غير الإسلامية، وذلك من خلال أساليب إعلامية شدت انتباه الأجيال الجديدة، وعمقت اعجابهم بالغرب وبالتالي ساعدة على عزلهم عن ثقافتهم الأصلية الإسلامية.(صابر طعيمة، 1984، ص،ص 46، 47)

وحدث كل ذلك في ظل غياب خطط وبرامج من هذه المجتمعات العربية والاسلامية لمجابهة ما تنقله هذه الوسائل من معتقدات وأفكار وقيم ومعايير تعارض الثقافة العربية والإسلامية.

3.1.2.الاغتراب الثقافي:

عرف **هيجل** الاغتراب على أنه حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد السيطرة على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل من أن يسطو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمه وتسهم في تحقيقه لذاته وطموحاته، ويكون الإنسان مغتربا بالقدر الذي تزيد فيه الهوة بينه وبين المؤسسات والعالم، ولا يكون التغلب على الاغتراب إلا في مجتمع تندمج فيه جميع المصالح الخاصة والعامة(حليم بركات، 2006، ص،ص 37، 38)

واهتم الفيلسوف الألماني **لودفيغ فيروباخ** بموضوع الاغتراب من خلال اهتمامه بتفسير علاقة الإنسان بالدين، حيث اعتبر أن الإنسان يغترب عن نفسه لأنه يعكس من خلال ايمانه الديني أفضل ما لديه من صفات على ما هو خارج ذاته، فيصبح يعبد هذا الشيء الذي يتحكم بشخصه، ويتصرف من خلال وضع نفسه تحت سلطة مخلوقاته التي تتحكم به بدلا من أن يتحكم بها.(حليم بركات، 2006، ص38)

أما **كارل ماركس** فقد سعى بعد وفاة هيجل بسنوات قلائل إلى تحول مفهوم الاغتراب من مفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي- اقتصادي، وعلى الرغم من تأثره بكل من فكر **هيجلوفيورباخ** إلا أنه عمل على تجاوز النظرة المثالية للاغتراب في الفكر الأوربي وحلله في سياقه التاريخي من خلال تحليل الأوضاع اللاإنسانية للعامل في المجتمعات الرأسمالية، وأظهر **كارل ماركس** من خلال تحليله لمفهوم الاغتراب أن هذا الأخير يعتبر حالة عامة بالمجتمعات الرأسمالية التي تحول فيها العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعدما اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه ومعادية له.(حليم بركات، 2006، ص39)

3.مفهوم تكنولوجيا الاتصال الحديثة:

التكنولوجيا هي: " مجموعة المعارف والخبرات المكتسبة التي تحقق إنتاج سلعة أو تقديم خدمة وفي إطار نظام اجتماعي واقتصادي معين" (عوفي مصطفي،بن بعطوش أحمد عبد الحكيم، 2016، ص458)

وإذا كان مصطلح التكنولوجيا يشير بصفة عامة إلى الوسائل والأجهزة التي يستخدمها الإنسان في توجيه شؤون حياته، وإذا كانت التكنولوجيا بمعناها الأوسع هي الاستخدام المفيد لمختلف مجالات المعرفة فإن:

- تكنولوجيا المعلومات هي " البحث عن أفضل الوسائل لتسهيل الحصول على المعلومات وتبادلها وجعلها متاحة لطالبيها بسرعة وفاعلية. (علي محمد رحومة، 2005، ص، ص 136، 137)

- أي هي تكنولوجيا يتم التحكم فيها عن طريق معالج صغير أو قرص حاسب رقيق. (محمد محمد الهادي، 2001، ص188).

- وتكنولوجيا المعلومات هي جميع الوسائل والأدوات اللازمة، ويتمثل ذلك في تكنولوجيا الاتصالات بعناصرها من الفاكس والتلفزيون والراديو والتليستيكس والفيديوتكس واستخدام الحاسبات الآلية والمعلومات ومراصد المعلومات وشبكة الانترنت والمؤتمرات عن بعد واستخدام القمر الصناعي والبريد الإلكتروني وغيرها من وسائل الاتصال. (مصطفى محمد أبو زيد، 2005، ص54).

ويعرف **الاتصال** أيضا بأنه عملية تبادل الآراء أو المعلومات أو الأفكار أو العواطف بين شخصين أو أكثر، ويتم الاتصال بطرق عديدة، يمكن تصنيفها تصنيفات مختلفة، منها المباشر والغير مباشر، حيث يرى "**شستر برناند** " الاتصال بأنه وسيلة يرتبط بواسطتها أعضاء المؤسسة بعضهم ببعض من أجل تحقيق هدف أساسي ولا يمكن لنشاط الجماعة، أن يأخذ مكانته دون تبادل المعلومات الضرورية.(كمال محمد المغربي، 2004، ص243)

وارتبطت كلمة **حديثة** بتكنولوجيا الاتصال كونها تعبر عن مدى تطور المجتمع وأخذه بالأساليب الحديثة للإنتاج.(عوفي مصطفى،بن بعطوش أحمد عبد الحكيم، 2016، ص458)

4-الثقافة:

وهي الطرق التي يوجدها المجتمع لسد حاجاته الأساسية وتقوم بتنظيم علاقاتها الاجتماعية. (محمد عبد المنعم نور،1970، ص36)

وهي تلك الأشياء المادية من صنع الإنسان واللامادية من معارف وأفكار وأديان وعقائد، باختصار هي كل أوجه النشاط الإنساني الناجمة عن الاجتماع الإنساني، وتختلف الثقافة عن العلم الذي ينشد الحقيقة من خلال النظريات التي يصوغها، "ونلاحظ أن التطبيق الفني الذي يقوم به الناس لسد حاجياتهم لا يعتمد على العلم وحده في كل الأزمان، وفي كل المجتمعات، بل في المجتمع الواحد، فنجد أحيانا أن الجماعات وخاصة البدائية منها تعتمد في التطبيق الفني على جوانب غيبية أو ظنية(محمد عبد المنعم نور،1970، ص36)، في حين نجد أن المجتمعات المعقدة تعتمد أكثر على العلوم كأساس لتطبيق التكنولوجيا.

ثانيا:التداعيات الثقافية لوسائل تكنولوجيا الاتصال الحديثة على المجتمعات العربية:

1-التلفزيون:

يحظى التلفزيون بأهمية كبيرة خاصة بين وسائل الاعلام الجماهرية، فقد أصبح واحدا من الأساسيات ولا يمكن الاستغناء عنه، وقد ذكر **سعد لبيب** وصفا للتلفزيون :" كظاهرة اقتحمت علينا حياتنا المعاصرة اقتحاما عميقا، قاسيا وكأنه القدر الذي لا مفر منه، فقد أصبح شريكا – بالقوة – في حياتنا اليومية، بل في كل جوانب حياتنا الفردية والاجتماعية، يتدخل في كل حياتنا، ويترك بصماته الواضحة على قيمنا، سلوكياتنا، عاداتنا، تقاليدينا وأفكارنا، فقد أصبح هو الذي يوجهنا إلى السبيل الذي نختاره لحل مشاكل الحياة على اختلافها، وأسلمنا له نحن القيادة في سهولة ويسر دون مقاومة." .(لمياء طالة، 2014،ص147.)

وعن تأثير التلفزيون على القيم والمعايير الثقافية يقول **سلمان**:" لقد تمكن التلفزيون – وبكل جدارة- ،من أن يصبح القائد للجماهير في العالم، فهو الذي يطرح ما هو صحيح وما هو خطأ بل هو الذي يصحح الخطأ ويستهجن الصحيح وأصبح هو المسؤول عن كل صغيرة وكبيرة منذ نشأته".(لمياء طالة، 2014،ص152.)

أما عن **الدليمي** فقد ذهب إلى أن تأثير التلفزيون على القيم والمعايير لا يحدث بطريقة فورية بل إن التلفزيون يترك آثاره على المدى البعيد،" فالقيم، المواقف والاتجاهات الفكرية والعاطفية وأنماط السلوك

الاجتماعي لا يمكن تغييرها، تعديلها أو تأكيدها إلا على فترات من الزمن تطول أو تقصر على وفق طبيعتها ومدى تغلغلها في الفرد والجماعة وعلى وفق قوة مؤثرات التغيير، التعديل أو التأكيد.

ويقول **أبو أصبع**: "التلفزيون يؤثر في نظرة الإنسان إلى ما حوله وفي قيمه ويؤثر في قدرته على التميز، بين الحقيقة والخيال ويعزل بين الناس وبيئتهم ويقدم نماذج الاحتذاء في السلوك، المظهر، الموقف واللغة".(لمياء طالة، 2014،ص152).

ويرى **شحاته** في هذا الصدد أن بعض الأفلام تصور المجرم بصورة بطولية بصورة تثير الاعجاب بالشخصية، أو الأفلام العاطفية التي تصير الغرائز وتسخر من بعض العادات والتقاليد والمثل العربية الأصيلة وتؤدي إلى الاستهتار بها، أو الأفلام التي تصور امكانية أن يعيش الفرد عاطلا دون عمل من خلال الاحتيال على الآخرين وخداعهم وكل ذلك يساعد على اختراق القيم والمعايير الثقافية للثقافة العربية الإسلامية.(لمياء طالة، 2014،ص153).

2-**السينما**:

منذ البداية اهتمت الصور المتحركة أو السينما، من حيث المضمون بالذوق الثقافي والمستوى التعليمي المنخفض، وحتى أول الأفلام في عروض-كينيسكوب إديسون-، كانت تدور حول أعمال مثل " فطيمة ورقصة هز البطن"، وقد كانت فطيمة هي الحدث المثير في أحد عروض معرض شيكاغو الدولي عام 1893،وبالنسبة لمتفرجي ذلك الحين كانت الكوميديات السخيفة والساذجة تلقى شعبية كبيرة، ونفس الشيء كان يحدث في مشاهد العري في حدود معايير ذلك العصر.(لمياء طالة، 2014،ص169)

وعملت السينما على الترويج لثقافة استهلاكية أحلت المشاكل الشخصية محل المشكلات الاجتماعية، ورسخت النرجسية والتمركز حول الذات بالسياق الاجتماعي للمجتمعات كقيمة مثالية يحاول الأفراد الوصول إليها، بتقليد أبطال المسلسلات، مع مراعات مظاهرهم الخارجية واتباع الموضة، وهذا ما يجعل الأفراد الذين يتعرضون لهذا النمط من الإنتاج الاعلامي السينمائي يخضعون لمعايير اجتماعية ناتجة عن منظومة صناعية، تحل الجسم محل العقل".(لمياء طالة، 2014، ص،ص 169، 167)

وهكذا كانت الصناعة السينمائية تحمل سيولا جارفة من النموذج الهوليودي كما وصفه **عيساوي** التي تنتج الثقافة وصناعة السلوك الإنساني الحداثي حسب متطلبات الربح والخسارة، البيع والشراء، في المؤسسات الهوليودية، وتسعى هذه الثقافة إلى إخراج العالم كافة من قيمه ومثله العليا، وعلى وجه الخصوص إخراج العالم العربي الإسلامي من خصوصيته الثقافية المحمية بالدين الإسلامي كي يتمكن بعدها من تحويله إلى مستهلك غبي لمنتجاتها الثقافية الاستهلاكية.(لمياء طالة، 2014،ص171.)

3-الإذاعة:

ويعتبر تأثير الإذاعة بالغ الأهمية نظر لخطورته في تشكيل العقول باستخدام وسائل الإعلام المباشر أو غير المباشرة، من خلال الحوار وإلقاء المؤثرات الصوتية، وخاصة وأن برامجها ترضي جميع الأذواق، ومختلف المستويات الثقافية، كما أنها تتيح للنشء خبرات غنية حية، ويرى بعض الخبراء أن جمهور الراديو ليس متنوعا كجمهور التلفزيون.

ويهتم الأمريكيون كثيرا بقطاع الشباب العربي، لأنهم يعتبرونهم فرصتهم للتأثير على الجيل –الشباب-، الذي تستقر مفاهيمه السياسية، الاجتماعية والفكرية، أكثر من فرصتهم في التأثير على الأجيال الأكبر سنا، لذا قامت الحكومة والأمريكية بتخصيص ميزانية لإنشاء إذاعة موجهة إلى الشباب العربي فقط من المحيط إلى الخليج، اسمها -إذاعة سوا سوا - هدفها المعلن هو تحسن صورة أمريكا عندهم والمخفي هو اختراق ثقافتهم

العربية الإسلامية وابعادهم عنها من خلال ما أسماه **إبراهيم علوش** بالتوجيه المضلل حيث يسعون لإقناع الشباب العربي المسلم أن تمسكهم بدينهم وقيمه ومعايره سيجعل منهم إرهابيين

وبالتالي فهي تهدف إلى أمركة نسيج العقل الشبابي من خلال طبيعة الموسيقى التي تبثها إضافة إلى الأخبار التي تعرض بطريقة مظللة تبرر للعدو الإسرائيلي ما يشنه من هجمات على الفلسطينيين.(لمياء طالة، 2014،ص-ص185-186)

كما يمكن أن تسقط الإذاعات المحلية بدورها يمكن أن تسقط في فخ التغريب، ومن ملامح هذا التغريب الذي يتم عن طريق البرامج التي يتم بثها ولا تخضع لمعايير فنية وفكرية وثقافية، وفلسفة إعلامية مدركة لخصوصية المكان والزمان الذي تعيش فيه، ووفق سياقات المورث التاريخي والشعبي المحلي، والابتعاد عن هذه المنظومة يعد تغريبا.(لمياء طالة، 2014،ص186).

5-الصحافة المكتوبة:

ظهرت الصحف الأولى في ألمانيا في أوائل القرن 18، ومع بداية القرن العشرين ظهرت الجمعيات المهنية الصحفية وبدأ التطور التدريجي للصحف المملوكة من قبل الشركات المساهمة الكبرى، وتحولت الصحف إلى مؤسسات متكاملة وظهرت وكالات تجميع الأخبار مثل: يونايتد برس، أوسوشييتد يرس، ورويترز.

وكتب **جيمس جوردون بينيت** مؤسس صحيفة ذي هيرالد الأمريكية عام 1836 قائلا:" كان للكتب يومها...وكان للمسارح يومها...وكان لمعبد العقيدة يومه...والصحيفة يمكن أن تسبق كل ذلك في الحركات العظيمة للفكر الإنساني وللحضارة الإنسانية".(لمياء طالة، 2014،ص188).

وعن علاقة الصحف المكتوبة بعملية الاختراق الثقافي للخصوصية الثقافية العربية يقول الكاتب الصحفي **فهمي هويدي** بدأها بمقال " الاختراق وسنينه" تحدث فيه عن الاختراق الأمريكي للصحافة العربية، أشار فيها إلى استراتيجية أمريكية لتحسين صورتها في الوطن العربي، من خلال دعم صحف خاصة تخصص نسبة ضئيلة من مادتها الصحفية لهذا الغرض، أما الباقي فيخصص للموضوعات الصحفية الاعتيادية مع التركيز على نشر الليبرالية، وتزامن ذلك مع صدور العدد الأول من صحيفة تصدر في مصر بترخيص أجنبي هي "نهضة مصر"، شعارها الرئيسي هو " الليبرالية طريقنا إلى المستقبل" وجزم رئيس تحريرها " عماد الدين أديب" في مقال افتتاحي أن الليبرالية آتية لا محال وكانت المقال بعنوان:" الليبرالية آتية لا ريب فيها".(لمياء طالة، 2014،ص190.).

وتسعى الصحافة الصهيونية الأمريكية في إطار سياسية الاختراق الثقافي للمجتمعات العربية الإسلامية دائما إلى محو الذاكرة العربية الإسلامية باللجوء إلى تشويه الزعامات الكاريزمية، والأحداث التاريخية والإساءة إليها والتشكيك في مصداقيتها، ودورها الفعال في التاريخ العربي الإسلامي، وفي ظل قواعد هذه الصحف نجد أن الإسرائيليون يقاتلون في سبيل الحرية"، و" أن العرب إرهابيون".(لمياء طالة، 2014،ص197.).

وتحمل الصحافة الأمريكية- الصهيونية الجزء الأكبر في عملية تشويه الحقائق والافتراء على التاريخ بقصد التصدي لكل الجوانب المضيئة في التاريخ العربي الإسلامي، ففي ليلة الألفية الثالثة،31 ديسمبر 1999، اختارت مجلة التايمز الأمريكية في هذا العدد الخاص الناصر صلاح الدين كشخصية القرن الثاني عشر وبأسلوب اصطناع الموضوعية مع قصد الإساءة التي هي استراتيجية يمارسها كثيرا الاعلام الغربي بكثير من التفاعلات والأحداث الخاصة فيما يتعلق برموز الحضارة العربية الاسلامية، فقد وصفت القائد صلاح الدين على أنه على قدر كبير من التسامح، إنه فارس أسطوري وإن المسحيين يقدرون خلق صلاح الدين في التعايش مع الآخرين، وأدخلت المجلة أسلوب تفتيتي في نفس الموضوع فقد أطلق على الجيش العربي الاسلامي أنه:" جنود صلاح الدين المحتلين للقدس وليسوا المحررين لها"، أما عنوان التحقيق فقد جاء كما يلي :" صلاح

الدين ذلك المغامر الكردي الذي أثبت للصليبين أن الله قد يقف إلى جانب الكافر"، ويمكن أن نكتشف أسلوب الاعلام الأمريكي الصهيوني التفتيتي للأمة العربية الاسلامية فهو يرد فيما يلي : .(لمياءطالة،2014،ص196.).

ـ تجريد صلاح الدين من عروبته وإسلامه

ـ وصفه بأنه مغامر كردي، وبوصفه هذا يريد أن يقول بأنه ارهابي كما يطلق على المجاهدين الآن.

ـ هو كردي مغامر وهذا يعني أن الأكراد إرهابيون ومغامرون، وهذا يدخل ضمن استراتيجية أمريكية لمواجهة حركات التحرر.

6ـ**الأنترنت**:

يقول **بيلقيتز** أن الأنترنت تمثل قمة ما وصلت إليه ثروة التكنولوجيا الحديثة للاتصال ومختلف ابتكاراتها، والأنترنت تمثل الوجه التطبيقي للعولمة، والتي سعت من خلالها الدول المتقدمة إلى توسيع نفوذها وإبقاء العالم تحت السيطرة الدائمة، فهذه الشبكة لا تعترف بالحدود القومية للشعوب، ولا تعير اعتبارا للخصوصية الثقافية، (لمياء طالة، 2014،ص122.)

ويقول **وليم جريدر** في الرابطة التي تربط العولمة وشبكة الانترنت والمعلومات من خلال تعريفه للعولمة:" إنها آلة عجيبة نتجت عن الثورة الصناعية والتجارية العالمية،وهي نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع التقني دون اعتبار للأنظمة، الحضارات، الثقافات، القيم أو الحدود السياسية والجغرافية القائمة على العالم".

وبالتالي فإن شبكات المعلوماتية تشكل سلاحا بالنسبة للذين يحسنون استعمال خدماتها بذكاء، حيث تتقارب ثقافة الشعوب القوية في حين تزيد الشعوب الضعيفة ومنها المجتمعات العربية ضعفا وتفرض عليها الثقافة الخارجية الوافدة بالقوة.(لمياء طالة، 2014،ص212.).

ويمكن تلخيص دور الأنترنت في دعم عملية الاختراق الثقافي للثقافة العربية الاسلامية في النقاط التالية: .(لمياء طالة، 2014،ص،ص216،213)

ـ تلعب دورا خطيرا في دمار الخلق وانحطاط القيم، وذلك بعد ظهور مواقع اباحية والترويج لتجارة الجنس من خلال هذه المواقع، كما ظهرت مواقع تدعو للشذوذ الجنسي وتروج له وتكون مادتها متاحة يمكن للشباب الوصول لها بسهولة من خلال شبكة الأنترنت.

ـ يمكن أن توظف الأنترنت لتشويه الدين الإسلامي الحنيف برسم صور مشوهة عنه بعيدة كل البعد عن الحقيقة.

ـ أصبحت الأنترنت وسيلة للتنمر حيث وجدت فئة فاسدة فيها مجالا لممارسة هويتها في السب وقذف الناس بهتانا وزورا وبألفاظ بذيئة تنشر الانحلال الأخلاقي واللامعيارية بين الشباب العربي.

ـ نشر الثقافة والنزعة الاستهلاكية بين الشباب العربي بصورة تجعله يستهلك ما لا يحتاجه ويكلفه ما لا يقدر عليه من امكانيات، كما أن الكثير من الاعلانات تخل في شكلها أو مضمونها بالقيم كالصور نصف العارية مثلا.

ـ تعد اللغة من أهم ركائز الخصوصية الثقافية لكافة الثقافات بالعالم، والملاحظ أن اللغة المستخدمة بالأنترنت هي اللغة الانجليزية أو العامية الدارجة أو خليط هجين بين العربية والانجليزية، مما يخلق نوع من الاعتماد على اللغات الأجنبية أو اللغات الاستهلاكية السريعة لدى الأجيال الجديدة والشباب بصورة تفقدهم القدرة مستقبلا على التعامل بلغتهم الأصلية.

ـ الكثير من المحتويات التي تنتج ضمن شبكة الأنترنت لا تنتمي بالضرورة للواقع المحلي للشباب العربي مما يوجد مع الوقت هوة بين الشاب وواقعه الفعلي ويجعله ينتمي لقضايا ووقائع تنتمي للمجتمعات الغربية وهو ما يوجد اغتراب لدى الشباب العربي وانفصاله عن واقعه الفعلي وهو ما يساهم في تكسير وتيرة المجتمع.

7-مواقع التواصل الاجتماعي:

أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي تعرف بمفهوم الإعلام الاجتماعي الجديد، وقد كانت استخداماته في بداية ظهوره محدودة إلا أنه ما لبث أن اتسع مجاله وأصبح يلقى رواجا كبيرا خاصة بين الأجيال الجديدة، وهو اليوم يشهد حركة ديناميكية وتطورا وانتشارا واسعا حوّله من أداة إعلامية نصية مكتوبة إلى أداة إعلامية سمعية وبصرية لها قوة مؤثرة على أنماط شخصية مستخدميها (السمعي، البصري، الحسي)، وعلى الرغم من أن هذه المواقع قد أنشئت في الأساس للتواصل الاجتماعي بين الأفراد، إلا أن استخداماتها امتدت لتشمل مختلف الأنشطة الاجتماعية بما يتداول بها من معلومات سياسية، اقتصادية وثقافية، كما أصبحت من المؤسسات المهمة في تربية النشء وإكسابهم عادات وسلوكيات ومواقف من المواضيع المختلفة والتأثير في سلوكياتهم وأنماط شخصياتهم، لذا تنبه التربويون إلى دور وأهمية مواقع التواصل الاجتماعي في التأثير على التنشئة الاجتماعي والنظام القيمي للأفراد خاصة المراهقين والشباب لطبيعة خصائص مرحلتهم العمرية:(جبريل بن حسن العريشي، سلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، 2015، ص19، 20)

ولعل أشهر مواقع التواصل الاجتماعي اليوم الفيس بوك، الذي يعد موقع تواصل اجتماعي يمكن مستخدميه من تكوين الأصدقاء وتبادل المعلومات والملفات والصور الشخصية ومقاطع الفيديو والتعليق عليها وإمكانية المحادثة والدردشة الفورية وكذا امكانية تكوين علاقات في فترة منية قصيرة وقد وصل عدد المشتركين فيه خلال 8سنوات من عمره 905 مليون مشترك من كافة أنحاء العالم:(جبريل بن حسن العريشي، سلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، 2015، ص38، 39)

إلا أن هذا الموقع أعاد تعريف العقد الاجتماعي بصورة أحادية الجانب بأن جعل من الخاص عاما ومن العام خاصا وأصبحت المعلومات الخاصة لأناس متوافرة لطرف ثالث يمكن أن يستغلها بصورة سلبية،وتتجسد خطورة مواقع التواصل الاجتماعي خاصة الفيس بوك على الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية من خلال تأثيرها على الأجيال الجديدة الذين يجدون فيها مجالا للتسلية والعبث بعيدا عن رقابة الأهل والمجتمع ولا يقدرون عواقب سلوكياتهم وخياراتهم،فيما يأتي:(جبريل بن حسن العريشي، سلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري، 2015، ص68، 69)

- الدفع بالأجيال الجديدة لنشر أفكار ضالة كالترويج للعنف والمشاركة به، والتورط في الجنس المبتذل.
- التعرض للخداع من قبل مسوقين لبضائع مغشوشة أو أفكار ضالة
- فتور الحس الأخلاقي نتيجة الكم الهائل من المعلومات التي يتعرض لها عن الدمار والعنف مما يجعله أمرا مألوفا لديه.
- الوقوع ضحية التضليل الثقافي والصور الجزئية المبتورة عن الأحداث والوقائع مما يؤدي إلى الخطأ في فهمها
- الوقوع ضحية الشائعات والأكاذيب والأخبار المغلوطة.
- التعود على جملة من القيم اللاأخلاقية المتاحة بهذه المواقع كالكذب وانعدام الأمانة وغياب الصدق والتعامل بشرف الوله والإعجاب المفرط بالنفس أو انعدام الثقة في النفس نتيجة أمور ثانوية وغير حقيقة، هوس الشهرة الكاذبة.

لذا يشير **الأشقر** للدور المهم الذي يجب أن تقوم به المؤسسات التربوية لتحقيق الأمن الثقافي للأجيال الجديدة نظرا لحجم الوقت الكبير الذي يقضونه بها، وذلك من خلال الأنشطة والمناهج بغرس قيم العلم والمعرفة والقيم الفاضلة الأخرى بهم وتشير الأدبيات إلى أن بناء النماذج التربوية القادرة على تحقيق الأمن

الثقافي بمؤسسات التربية والتعليم يكون من خلال وضع رؤية حول استخدام نماذج الأداء الخاطئ مع الأداء الصحيح لتعلم نماذج صحيحة تساعد على تعديل السلوك والتركيز على عرض السلوك الصحيح في بيئة ثرية بالمعاني من خلال التفاعل مع الآخرين في سياق اجتماعي واسع وعرض ونمذجة المهارات المراد اكسابها للأجيال الجديدة في صورة فعلية غير لفظية ثم اعادة النشاط مجزأ مع الحديث عنه وإعطاء تغذية راجعة للاستجابة، ويكون تنظيم الاستجابة بناء على المستوى المعرفي والتركيز على النموذج الذي يأخذ بعين الاعتبار القيم السائد والمحددات الثقافية والاجتماعية والدينية والأخلاقية وبين ما يصدر من النموذج من الناحية الأخرى وتكون التطبيقات التربوية وفق الأنماط السلوكية التي تصدر عن الطلاب والتوقعات المرتبطة بها والآثار المترتبة عنها، واستثارة انتباه الطلاب باستخدام كافة الوسائل الحديثة التي تثير دافعيتهم نحو الأداء وكذا اختيار النماذج المراد اكسابها لهم والاقتداء بها بوضوح.(عبد الرحمن بن ابراهيم الشاعر، 2015، ص264، 265)

ثالثا: أشكال الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية وعلاقتها بالتداعيات الثقافية لتكنولوجيا الاتصال:

1.3-علاقة تكنولوجيا الاتصال الحديثة بالاغتراب الثقافي لدى الشباب العربي

تعطي الثقافة للفرد إنسانيته فمن خلالها يتمكن الفرد يرسم الفرد قواعد التواصل مع الآخر سواء كان داخل حدود انتمائه الجغرافي، أو الانتماء الإنساني له، ويقول **ادوارد تي.هول:**"إن الثقافة تتحكم بالسلوك بطرق متعمقة ومستمرة، والعديد من هذه الطرق هي خارج الإدراك وبالتالي بعيدة عن سيطرة وعي الفرد"(ادوارد. تي.هول، 2007، ص33)

وقد أفادت الحضارة الغربية من القدم العلمي والتكنولوجي في نشر ثقافتها المادية، وذلك من خلال ما تبثه وسائل الإعلام وتذيعه من أفكار غربية سواء عن طريق مقالات في الصحف أو مسلسلات في الاذاعة والتلفزيون، أو إعلانات عن منتجات وخدمات تقدمها للناس في بلدانهم، فضلا عما ينشر عن طريق الأقمار الصناعية وشبكات الأنترنت.

وتظهر خطورة هذا الاتجاه في المجال الخارجي والداخلي، فالمجال الخارجي عملت أجهزة الإعلام الغربية على الحط من الثقافة العربية وتشويه صورتها عالميا، حيث تصنع صورة نمطية عنها كونها ثقافة تعصب وتخلف وإرهاب، أما المجال الداخلي فالصورة أكثر سوادا، حيث تركز أجهزة الإعلام الغربية على التقدم العلمي والتكنولوجي للغرب في مقابل تربط بين تخلف الثقافات الأخرى وخاصة العربية بتمسكها بالدين.

ومن خلال هذه الآليات عملت على زرع عقدة النقص في الأجيال الجديدة خاصة فئة الشباب العربي، وأوجدت لديهم فقدان الثقة بالنفس ورسخت في وجدانهم أن السير على درب السلف سمة تخلف وانحطاط، والتمسك بالتراث تحجر وجمود، وأن سبيل الاصلاح والتقدم ينحصر في الأخذ بأساليب الحضارة الغربية قلبا وقالبا، فنشأ أجيال ينتمون إلى غير ثقافة آبائهم وأجدادهم، ويباهون بولائهم الفكري لأمة غير أمتهم، وهو ما جعل معالم الثقافة العربية الإسلامية لدى الأجيال الجديدة وخاصة فئة الشباب تصاب بالتصدع والتفسخ، وأوجد لديهم أزمة في الهوية الثقافية عبر عنها حالة الاغتراب الثقافي لدى الشباب العربي.

ويعتبر الاغتراب الثقافي حسب **مالك بن نبي** أزمة تي الهوية الثقافية للمجتمعات العربية ومظهرا للاختراق الثقافي لها نتج عن اختلال في الالتزام بالعقد الثقافي بين الفرد والمجتمع من أحدهمابصورة تؤثر على الهوية الفردية للأفراد (مالك بن نبي، 2002، ص94)

ويقول**حسن حنفي** في وصف أزمة الهوية الثقافية داخل البلدان المستقلة حديثا والتي أخذت بالمنطلقات الفكرية للمستعمر بعد استقلالها:" لقد هدمنا كل شيء، وكفرنا بكل شيء، ولم يعد هناك قضية يمكن الدفاع عنها، ومن ثمة استحالة تربية المواطن، وصعب إيجاد إطار مرجعي يمكن الرجوع إليه، أو معيار

يمكن القياس عليه، ولقد أنهينا كل شيء بأيدينا، وحطمنا مثل أجيال عديدة، وهززنا قناعات ربينا عليها، وراحت ضحيتها ألوف الشهداء، ما دافعنا عنه في الماضي أصبح موضوع شك وعدم اكتراث مثل الاستقلال الوطني، ما حاولنا التخلص منه في الماضي بما في ذلك التخلص من المستعمر وطرد المحتل أصبح الآن موضوع نداء واستجداء، لقد انقلبت الموازين رأسا على عقب، وتحولنا مائة وثمانين درجة من الشيء إلى نقيضه".(جيوفري نويل سميث، كينتين هور، 1991، ص405)

2.3-علاقة تكنولوجيا الاتصال الحديثة بانتشار الثقافة الجماهرية بالمجتمعات العربية:

أحد المفاهيم الأولى تماما للنظرية النقدية حول الثقافة الجماهرية هو مفهوم الصناعة الثقافية، والذي جاء به سنة 1944 فيلسوفا مدرسة فرانكفورت **تيودور آدورنو وماكس هوركهيمر** ويشير إلى نظرتهما إلى أن الثقافة تم تسليعها، بصورة أدت إلى تحويل الفعل الثقافي إلى قيمة سوقية، قوته الناقدة وذوّب فيه آثار تجربة أصيلة، وقد استندا في صياغة هذا المفهوم إلى معاينة حركة عامة لإنتاج الثقافة والتشابك بينها وبين التكنولوجيا الحديثة والسلطة والاقتصاد.(آرمان ماتلار،2008، ص81)

ويقول عنها **ماكدونالد** "الثقافة الجماهيرية فرضت من الأعلى حيث جرى تصميمها بواسطة التقنيين وجرى استتجارها من جانب رجال الأعمال، أما المتلقين لها هم من المستهلكين الانفعاليين والمغلوبين حيث أن هؤلاء مشاركتهم مقيدة للاختيار بين الشراء أو عدمه، المسوقون لهذه الثقافة إنما يستغلون الحاجات الثقافية الجماهيرية لغرض جني الأرباح أو لغرض الحفاظ على السيادة الطبقية لهم"

ويرجع **ماكدونالد** قوة تأثيرها إلى أسباب هي:(لمياء طالة، 2014، ص-ص 61-64)

-تتميز بسهولة والسطحية مما يشجع العامة من الناس على اقتنائها كالقصص البوليسية المسرحيات التي صنعت بطريقة مبسطة في محاولة لبيع حقوق الأفلام فلو كانت المسرحية شديدة التعقيد من حيث صعوبة تحويلها إلى فيلم سوف يصعب تسويقها.

- إن أشكال الثقافة الجماهيرية كانت تأخذ أسلوبا ابتكاريا زائفا كي تبدوا أكثر أهمية مما هي عليه في الواقع من الناحية الفنية لذلك أصبح التمايز بين الثقافة العليا والثقافة الجماهيرية أكثر صعوبة بعدما تحطمت الحدود بينهم.

-تنتج بكميات كبيرة وعلى مستويات واسعة تحاصر الجماهير.

يقول **ماكدونالد** عنها: " إنها تهدد الثقافة العليا بسبب انتشارها الواسع وكمياتها الهائلة والمخيفة فالطبقة العليا التي بدأت في استعمال هذه الثقافة لتوليد النقود من الأذواق السخيفة للجماهير ولكي تسيطر عليهم سياسيا انتهت لتجد أن ثقافتها الخاصة تتعرض للهجوم بنفس الأداة التي طورتها هي بغباء".

واعتقد **ماكدونالد** أن انتصار ثقافة الجماهير سوف تقود إلى زيادة الاغتراب الثقافي بين من صنعوا المنتجات الثقافية فهناك المزيد من تقسيم العمل في الإعلام مثل السينما عند مقارنتها مع المسرح حيث جوى تضليل الأفراد لكي ينفذوا مهمات ميكانيكية ترتبط بمظهر صغير من الفيلم وقد عدد **ماكدونالد** سلبيات الثقافة الجماهيرية التي تجعلها سببا في الاغتراب الثقافي والبعد عن العلم والمعرفة في سبيل تحقيق الأرباح المادية كالتالي: (لمياء طالة، 2014، ص61)

- تشكل تهديدا لثقافة النخبة أو ما يسميه الثقافة العليا فالهدف منها هو تجاهل أو ابتذال الثقافة العليا.
- هي أداة لتحقيق الدكتاتورية بتغييبها للفكر والثقافة الحقيقية.
- توجد وعي سخيف وزائف بالمتعة لدى الجماهير.
- هي ليست مجرد ثقافة يختارها الفرد إنما هي سيطرة سياسية أيضا.

- خلق حالة من صبيانية البالغين إن صح التعبير حيث أن البالغين الأمريكان يقرؤون بشكل متزايد الرسوم السافرة في الصحف ويشاهدون برامج تلفزيون المخصصة للأطفال يصبحون فيها غير قادرين على مسايرة حياة البالغين دون الهروب إلى الثقافة الجماهيرية لغرض التسلية وكذلك إيجاد أطفال يقِضيْنَ أكثر من اللازم فقد صار بإمكانهم مشاهدة الأفلام الموجهة للبالغين في السينما أو التلفزيون.

ـ الثقافة الجماهيرية تقوض النسيج الاجتماعي فهي تخلق مجتمع جماهيري يصبح فيه الأفراد ذرات متناهية حيث يفقدون التزامهم تجاه الجماعة ويصبحون غير قادرين على التفاعل مع بعضهم بطريقة ناجحة وبدلا من ذلك يصبح الناس منعزلين مرتبطون فقط بأنظمة مركزية ومنظمات كالإعلام الواسع والأحزاب السياسية والشركات.

أما **ارنولد** فرأى أن الثقافة الجماهرية تعتبر من أهم مظاهر الاغتراب الثقافي في المجتمع البريطاني في القرن **19** هو التركيز على الحياة المادية وجمع الثروة في مقابل إهمال الجانب الفكري حتى أصبحت الحضارة توازي الثروة والإنسان المتحضر ليس من يملك مقدارا رفيعا من المعرفة بأفضل المعتقدات السائدة في العالم إنما هو الذي يمتلك أكبر قدر من الثروة، هذا في رأيه ما أدى بالعمال إلى المطالبة بالعدالة وحقهم في أن يعملوا ما يرغبون فيه على الرغم من أنهم لا يمتلكون المعرفة والثقافة التي تؤهلهم.(هارلمبس هولبورن، 2010، ص40)

وبالتالي فقد نتج عن هذا الاغتراب عن الفكر والثقافة الحقيقية التي تعطي للإنسان قيمته وترقى به إلى درجات من الكمال الإنساني غياب معيار المعرفة كأساس للحراك الاجتماعي في السلم الاجتماعي وظهور معيار النفوذ، السلطة والثروة فسبب ذلك ظهور اللامعيارية عند الطبقة العاملة التي على الرغم من أنها الأقل ثقافة فهي تطالب بعمل ما تحب لغياب الوعي بأهمية الثقافة والمعرفة في الإنتاج والتركيز على الإنتاج ذاته والماكنة كأساس للإنتاج و بما أنها ترى نفسها الأقدر على تسيير الآلات والإنتاج فإنها رأت أن لها الحق في اختيار ما تحب من عمل.(هارلمبس هولبورن، 2010، ص40)

إذا وانطلاقا من ذلك فإن الاتجاهات اللامعيارية عند **ارنولد** تنتج من إغفال وتهميش الجانب الفكري والمعرفي للثقافة كمعيار للسلم الاجتماعي والحياة الاجتماعية ككل، فلا تصبح المراكز الاجتماعية تستحق بالمعرفة بل على أساس معيار آخر فيصبح كل فرد لا يدرك بالضرورة مركزه انطلاقا من قدر ما يحمل من معرفة لذا نبه **ارنولد** إلى خطورة المساواة بين الثروة والحضارة ويقول إن حياة الإنسان في كل يوم تعتمد من حيث قيمتها وتماسكها على ما يقوم به من قراءة أو عدمها في ذلك اليوم، إن اكتساب المعرفة عن الناس والأفكار الجديدة والمعتقدات هو ما يعطي لحياة الإنسان قيمتها ويثري الحضارة والاغتراب الثقافي الحقيقي يكون بالاغتراب عن القراءة وظهور العجز عن إنتاج الأفكار الحرة والجديدة عن العالم والأشياء والعجز عن القراءة والاطلاع المتجدد، لأن الثروة لا تحمي المجتمع من خطر التفكك وظهور الاتجاهات اللامعيارية بقدر المعرفة والفكر(هارلمبس هولبورن، 2010، ص،ص 40، 41)

لذا دعا **ارنولد** إلى ضرورة تثقيف الطبقة العاملة لأنها دون ثقافة لا تسهم في تطوير المجتمع بل في تفككه، كما رأى **ليفس** أن أهم مظاهر الاغتراب الثقافي هو انحطاط الثقافة والذوق العام للجماهير، ويشير إلى أنه في الماضي كانت الثقافة المتعالية التي تبعث الحياة في الفكر وتشجع على الإبداع في متناول الجميع وليست النخبة المثقفة وحددها من تشاهد المسرحيات الراقية مثل مسرحيات **شكسبير** بل حتى الجماهير العامة، وكانت هناك دائما تلك القلة المتميزة بالذوق الرفيع الذي تميز به بين الجيد والرديء من الفن، أما في الثلاثينات فيقول أن الوضع تغير وأصبحت أذواق العامة من الجماهير والنخبة على حد سواء مهددة بثقافة جديدة سميت بثقافة الجماهير وهي ثقافة استهلاكية وقتية تشجع على الكسل الفكري وأصبحت تلقى رواجا بين العامة لسهولتها ولأنها لا تتطلب جهد فكري كبير وحلت السينما بما تروج له من إغراءات عاطفية رخيصة محل الفن الراقي فانتكست الأذواق ولم تعد قادرة أمام الكميات الهائلة التي تفرزها ثقافة الجماهير على

التمييز بين الجيد والرديء فلم يبقى إلا قلة قليلة لازالت تحافظ على سلامة الذوق في وجود هذه الثقافة الجماهيرية. (هارلمبس هولبورن، 2010، ص41)

وما يزيد من حدة المشكلة بالنسبة له هو التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة، فالأضرار التي لحقت الثقافة كانت نتاج التحديث وظهور التسلية السلبية التي لا تشجع الناس على التفكير(هارلمبس هولبورن، 2010، ص41)

وأشار **هانز شتيفر** إلى أن الثقافة الاستهلاكية في القرنين 19 و20 جعلت الثقافة تتحول من وعي بالحياة إلى تكديس للمعلومات من أجل التوظيف العملي، فهي لا تقدر على قيادة الإنسان لبلوغ الحضارة لأنها لا تنمي فكرا ولا تمنح للإنسان وعيا بمشكلاته بقدر ما تزيدها، لأنها ثقافة استهلاكية تراكمية ركزت على الكم وأهملت الكيف، فنحن اليوم نعيش ركود ثقافي ذو بريق مخادع يوهمنا أننا في قمة الثقافة والحضارة، ويقول في ذلك: "وحين صارت الثقافة تحصيل المعلومات لم تعد وعيا بل عملية تجميع والخوض في التطبيق العملي(عمر كامل سقاوي، 1988، ص86)

ومن ذلك يكون لا يكون الاستهلاك ضمن الثقافة الجماهرية فعلا معزولا وإنما هو تعبير عن الصلة الصريحة التي صارت بين الذات والاستهلاك، بحيث يتم ترتيب مجموعة من المنتجات التي يتم استهلاكها وتعريف الذات من خلالها، فيصبح بذلك جانبا من استراتيجية ثقافية أوسع نطاقا لتعريف الذات والحفاظ عليها(مايك فيذرستون، د.ت، ص،ص 302، 303)

ويعرف "**جمال العيفة**" الثقافة الجماهرية في كتابه "الثقافة الجماهيرية عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق" بأنها: "المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الاتصال والإعلام لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة (الخنساء تومي، 2016، ص116)

كما يقول **"إدغار موران"** عن ظهور مفهوم الثقافة الجماهرية " عندما بدأت التفكير حول مصطلح الثقافة الجماهيرية، ظهر لي شيئان: الحداثة التي جلبتها للثقافة المشتركة، والتي يطلق عليها تزامن الثقافة الجماهيرية؛ ومما يعني: القدرة على احتواء مختلف المستويات الثقافية، ومختلف الأشياء ذات الأصول المختلفة، ومن جهة أخرى مختلف العلاقات الداخلية التي تربطها الثقافة الجماهيرية مع الخبرة الشخصية، ما تجلبه الثقافة الجماهيرية هو الامتداد المعتبر للخبرة الشخصية، وبالأخص بعد مختلف للإثارة"(الخنساء تومي، 2016، ص116)

ووصفها **أبو أصبع** بأنهاثقافة مصنعة مفروضة على الجماهير، كما أن الرسائل الاتصالية التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيرية، هي رسائل غير موجهة إلى طبقة بث موحدة ولا إلى مستوى ثقافي أو تعليمي محدد(الخنساء تومي، 2016،ص117)

وقد حدد **العياضي** خصائص الثقافة الجماهيرية فيما يلي: (الخنساء تومي، 2016، ص، ص118، 119)

ـ إن الخطاب عن الثقافة الجماهيرية خطاب مثقفين الذين يعيشون في الثقافة الجماهيرية.

ـتشمل منتجات الراديو، التلفزيون، السينما، الكتب، الجرائد والمجلات؛ أي كل المنتجات المقدمة للجمهور بقنوات جماهيرية مرتبطة بمفهوم الترفيه، وفي هذه الحالة لا تشمل كل المنتجات الجماهيرية؛ بل الأفلام، الألعاب ...، أنها تشمل ما يخرج عن نطاق ما نسميه عادة بالإعلام السوسيو-اقتصادي والسياسي.

ـ إنه خطاب يتطور بمعية خطاب آخر، خطاب المجتمع الجماهيري؛ حيث توجد في الخطاب عن الثقافة الجماهيرية بشكل ضمني أو مستتر طريقة لإدراك وفهم الكيان الاجتماعي أو على الأقل بعض الفرضيات حول طبيعة النظام الاجتماعي الذي تتطور فيه الثقافة الجماهيرية فهي ترتبط بالتحول والتغيير في المجتمع.

ـ تتميز بالظرفية والسطحية.

وقد كان لهذه الثقافة الاستهلاكية التي روجت لها الحضارة الغربية من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة أثرا في تغير أنماط الحياة وسبل العيش بالمجتمعات العربية التي انخرطت بصورة أكبر في النزعة الاستهلاكية ومنتجات الثقافة الاستهلاكية.

فكان نتيجة ذلك أن أصبح العرب اليوم يعيشون نمط حياة مختلف عن ما كانوا عليه من قبل، يأكلون طعاما مختلفا ويرتدون أزياء مختلفة، ويتكلمون ويفكرون بطريقة مغايرة، ويطمحون لتحقيق أهداف وغايات وحاجيات لم تكن لتخطر على بالهم من قبل، فتناسوا وتنازلوا على أحلامهم وطموحاتهم هم ليركضوا وراء حاجيات وأهداف لا تنتمي لهم وهذا ما جعلهم يغرقون في عالم الأشياء وتكديس الأشياء واستهلاك منتجات الحضارة الغربية بهدف تحقيق التنمية السريعة الشكلية والوهمية بدلا من انتاج خطهم الحضاري والتقدمي بأنفسهم وانطلاقا من أفكارهم وخياراتهم الخاصة، حيث تم تنميط حاجياتهم لترى في منتجات الثقافة الاستهلاكية المادية للغرب الحل الوحيد والطريق الأمثل لبلوغ التقدم والتنمية. (جلال أمين، 2009، ص221)

وما أظهرته نتائج هذه الخيارات بالواقع الثقافي لهذه المجتمعات أن ما يتم عولمته من ثقافة استهلاكية من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة ليس إلا عولمة لسلع وخدمات لم تزيد المجتمعات العربية المستهلكة لها تحضرا بقدر ما تضرب في جذور ثقافتها الحقيقية لتلغيها وتحل محلها ثقافة سطحية ومتدنية الذوق لا تنتج بالفعل أي نمو وتقدم بقدر ما تزعزع أي محاولة للتنمية لأنها تركز على حاجات جانية تستنزف امكانياتها ولا تمكنها من الاستثمار في الثقافة الحقيقة المنتجة فعولمة الهامبرجر والكوكاكولا والتلفزيون والنوع الهابط من الأفلام والمسلسلات والملابس وكذا وسائل الترفيه والمواصلات وتنميطها في ذهن المستهلك على أنها غاية الوجود الحقيقي وأنه لا يمكنه الاستغناء عنها لا تنتج في الحقيقة أي نوع من التقدم الحقيقي فالمجتمعات التي تستهلك هذه المنتجات على أنها واقع الحضارة لا تصبح متحضرة بالضرورة ولا قادرة على تحمل أعباء الحضارة وانتاجها بقدر ما تنغمس في تكديس الأشياء التي ستنتهي بها إلى الافلاس الاقتصادي والحضاري (جلال أمين، 2009، ص221)

غير أن ما عملت عليه تكنولوجيا الاتصال الحديثة من أجل اختراق الثقافة بالمجتمعات العربية عن طريق ما تروج له من ثقافة استهلاكية متدنية، لم ينجح لأنها تمثل منتجات الحضارة أو التقدم العلمي والتكنولوجي بالغرب، بقدر ما كان السبب الحقيقي هو عملها على خلق نوع من الالتزام النفسي بتبني واتباع نمط حياة معين لدى هذه المجتمعات يلزمها بهذه المنتجات على أنها الممثل الوحيد للحضارة وبالتالي منع أي تفكير في امكانية أن تكون هذه المنتجات الفكرية والثقافية ذات الطبيعة الاستهلاكية والتي ترفع من معدلات الاستهلاك وليس التنمية احتمالا من الاحتمالات الممكنة للحضارة وليست مبدأ ومنتهى الحضارة. (جلال أمين، 2009، ص34)

3.3ـ علاقة تكنولوجيا الاتصال الحديثة باللاستقرار السياسي بالمجتمعات العربية:

روجت تكنولوجيا الاتصال الحديثة إلى تصورات حداثية وثقافة استهلاكية بدلا من أن توجد التقدم والتطور والازدهار أنتجت مجتمعات استهلاكية بامتياز تتعلق بعالم الأشياء وتكديسها أكثر من انتاجها وتحديثها إضافة إلى أنه جعل حالة الاحباط العام بالمجتمعات العربية تزيد وتسبب اللاستقرار السياسي فالتصورات الحداثية حملت معها جملة من الحاجيات الجديدة التي عجزت امكانيات المجتمعات العربية الفكرية والمادية عن تلبيتها وبالتالي صار هناك انفصال بين الأهداف المسطرة من قبل الأنظمة العربية الحاكمة ذات الرؤى التحديثية والواقع الاجتماعي الراكد فكريا وعمليا وماديا فأوجد ذلك حالة من الاغتراب الثقافي لدى الشباب العربي خاصة الاغتراب السياسي حيث قاطع الحياة السياسية وسحب ثقته من كل الوعود التي يتلقها من

أنظمة بلدانه لتحقيق حياة أفضل اقتصاديا وتكنولوجيا على أقل تقدير وبالتالي صاحب ذلك اغترابا اجتماعيا وثقافيا مظاهره ظواهر اللامعني واللامعيارية والعجز الثقافي وكذا التمركز حول الذات فمقارنة الشباب بين ما يتلقاه من تنميط ثقافي لحاجياته الضرورة في إطار الثقافة الاستهلاكية وما يحصل عليه بالفعل من إشباعات لهذه الحاجيات على أرض الواقع أوجد حالة من الاحباط والغضب التي عبر عنها بالانسحاب من المجتمع فريق منهم وفريق آخر بالخروج على قيم ومعاير المجتمع والأخير بالثورة والاحتجاج على من يؤسسون لهذا الواقع وبالتالي ظهرت حالة اللاستقرار الاجتماعي والسياسي كسمة غالبة على المجتمعات العربية وشكل من أشكال الاختراق الثقافي بالمجتمعات العربية.

حيث رأى كل من **إيفا فايرنيد وروزا لين فايرنيد** أن هناك اتجاه رأى أنه يمكن تطبيق نظرية الإحباط – العدوان التقليدية لتفسير السلوك الدولي العدواني من خلال البحث في علاقة عدم الاستقرار السياسي بالإحباط والاغتراب المجتمعي الناتج عن التغير الاجتماعي من المرحلة التقليدية إلى التحديث.

وقد انطلقت هذه النظرية من فرضيتين عامتين ومترابطتين هما: (فرويد وآخرون، 1986، ص-ص219-223)

ـ بقدر ما يرتفع (أو ينخفض) تشكل الحاجات الاجتماعية في مجتمع بعينه وينخفض (أو يرتفع) مستوى تلبية هذه الحاجات الاجتماعية يكبر (أو يقل) الإحباط المنظومي ويشتد (أو ينقص) الدافع إلى عدم الاستقرار السياسي.

ـ إن الزيادة الشديدة أو النقصان الشديد، في نقاط مركب الحداثة في أي مجتمع من المجتمعات تميل لإحداث أكبر حد من الاستقرار في النظام السياسي في حين أن الموقع المتوسط في هذا يسبب أكبر حد من عدم الاستقرار السياسي.

$$\text{ارتفاع في الاحباط} = \frac{\text{انخفاض في تلبية الحاجات}}{\text{ارتفاع في تشكل الحاجات}}$$

$$\text{انخفاض في الاحباط} = \frac{\text{انخفاض في تلبية الحاجات}}{\text{انخفاض في تشكل الحاجات}}$$

$$\text{انخفاض في الاحباط} = \frac{\text{ارتفاع في تلبية الحاجات}}{\text{ارتفاع في تشكل الحاجات}}$$

ذهب أنصار هذا الاتجاه من خلال محاولة تفسير عدم الاستقرار السياسي في الدول الانتقالية إلى إرجاعه إلى الاغتراب الذي تعيشه جماهير المجتمعات التقليدية (المتخلفة، النامية) في محاولتها الانتقال إلى نمط الحياة الحديثة القائمة على مجموعة من الأسس ترتبط ارتباطا وثيقا بالحاجات الاقتصادية وهي: (فرويد وآخرون، 1986، ص223).

- تطلعات وقدرات المجتمع إلى إنتاج واستهلاك نطاق واسع وكميات كبيرة من السلع والخدمات
- التطور الرفيع في مجال العلوم، التكنولوجيا، التعليم.
- التوصل إلى درجة عالية من المهارات المتخصصة.
- تتضمن بنى جديدة للتنظيم الاجتماعي والمساهمة الاجتماعية.
- تطلعات ومواقف وأيديولوجيات جديدة.

حيث أن هذه الأسس جعلت من الدول التي تقوم على الأفكار الحداثية تصبح نموذجا تسعى الدول التقليدية إلى محاكاته حيث يقول **ليرنر** أنه ما إن تتطلع المجتمعات التقليدية على أساليب الحياة الحديثة، حتى تغدوا بلا استثناء راغبة في المنافع المقترنة بالحداثة، ونتيجة لهذا أصبح هناك ثلاث أنماط من المجتمعات بالعالم **مجتمعات حديثة، مجتمعات تقليدية ،مجتمعات انتقالية**، فالمجتمعات التقليدية التي سعت إلى الحداثة لتحقيق منافعها لم تتوفر في حقيقة الأمر على شروط الانتقال اللازمة لأن الوعي الحداثي ينتج عنه مجموعة من الحاجات الاقتصادية الاستهلاكية المتزايدة باستمرار ولكي يتمكن أي نظام اجتماعي من إشباع الحاجات المرتبطة بالحداثة يتعين توفر مجموعة من الإمكانيات التي لم تكن تتوفر عليها المجتمعات التقليدية عند اتخاذ النخب السياسية لقرار التحديث والعصرنة لهذه المجتمعات مما نتج عنه إحباط منظومي للمجتمع ناتج عن الفارق البين بين الأهداف التي وضعت للتحديث والإمكانات الواقعية فحدث ما عبر عنه **ليرنر** بـ (ثورة التوقعات) وبالمقابل (ثورة إحباطات) هذا أدى إلى اغتراب الأفراد نتيجة الصراعات التي أوجدتها عملية التحديث بين عالم الوعي وعالم الفعل والسلوك فالنخب السياسية التي شبعت الجماهير بالحاجات والتطلعات الحداثية ذات الطابع الاستهلاكي المتزايد عبر التعليم والتحضر، لم تتوفر لها القدرات السياسية والإدارية والمشاريعية التي تمكنها من المعادلة بين الوعي الحداثي والواقع التقليدي نتيجة ضعف الإمكانيات، فأصبحت سلوكيات الأفراد تمزج الحداثي بالتقليدي، وثورة الاحباطات الاجتماعية أنتجت تزايدا في العدوان وللجوء إلى الوسائل غير المشروعة اجتماعيا لتحقيق الأهداف والحاجات عند شعوبها المحبطة.

إضافة إلى ذلك يتضمن التحديث تفكك في البناء الاجتماعي وتغير في البيئة والأيديولوجيات وما ينتج عن ذلك من صراعات بين القديم والحديث، وهو ما يزيد من الاغتراب الذي يعانيه أفراد هذه المجتمعات ويزيد من حدة العدوانية والتفكك في البناء الاجتماعي وظهور اللامعيارية عند شعوب هذه الدول، وهذا بالضرورة يؤدي عدم الاستقرار السياسي وقد توصلت هذه النظرية من خلال الدراسات التي أجرتها على العلاقة بين الإحباط الاجتماعي والحداثة وعدم الاستقرار السياسي إلى أن البلدان الانتقالية يكون الإحباط الاجتماعي فيها أكبر وتصبح تعاني من العدوان والاغتراب المتزايد للجماهير كما يزيد فيها الاغتراب السياسي والقلاقل السياسية بشكل أكبر من الدول التقليدية أو الحداثية لأن درجة الوعي الحداثي تكون في أعلى قمته في حين الواقع الفعلي يتقدم ببطء.

ومن هنا ذهب أنصار هذه النظرية إلى أن الاغتراب السياسي والاجتماعي داخل البلدان الانتقالية كان نتيجة اغتراب الوعي الثقافي عن الواقع الاجتماعي، حيث نتج عن أخذ البلدان الانتقالية بالوعي الحداثي صراعا بين عالم المفاهيم والثقافة الحداثية التي تشبعت بها شعوبها وبين الواقع التقليدي الذي لازال ينتمي إلى الثقافة المحلية مما أدى إلى زيادة الحاجات المرتبطة بالثقافة الحداثية وعجز الواقع عن تلبية هذه الحاجات (الإحباط) وهذا أدى إلى زيادة العدوان واللامعيارية عند الجماهير وعدم استقرار الأنظمة السياسية، وبالتالي كلم زاد إحباط الحاجات الاجتماعية التي يشكلها الوعي الثقافي للأفراد داخل مجتمع ما زاد العدوان واللامعيارية والاغتراب داخل البناء الاجتماعي وهو ما ينتج عدم الاستقرار السياسي، ومنه يكون الاغتراب نتيجة عامل الصراع في الحاجات بين عالم الوعي والواقع وهو كذلك سبب في عدم الاستقرار السياسي والسلوك العدواني للدول. (فرويد وآخرون، 1986، ص-ص223-231).

انطلاقا مما سبق يمكن استخلاص مستويات تداعيات تكنولوجيا الاتصال الحديثة على الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية كالتالي:

1.المستوى النفسي: ويتجسد في مشكلات التوافق النفسي والاجتماعي التي صارت من ملامح المجتمعات العربية المعاصرة التي تجسدها العديد من الأزمات كانتشار العنف وحالات الإحباط واليأس من إمكانية

النهوض الثقافي وتشكيل الذات، إلى حالة التشكك في مدى القدرة على مواجهة التحدي الثقافي، وتمتد إلى حالة الشعور بالعجز عن الوصول إلى الآخر والتأثير فيه.

2.المستوى الثقافي(الفكري): ويتجسد في أزمة الهويةحيث يعاني كثير من أبناء المجتمعات العربية اليوم من فقدان الهوية الثقافية، وهي أساس ما يعانيه الشباب من أزمات ثقافية، حيث ضعف الانتماء، وعدم الثقة بالذات والقدرات الثقافية، وما يتصل بذلك من حيرة وتجاذبات ثقافية بين الرغبات، والواقع الاجتماعي، والانتماء الثقافي العاطفي، والانجرار السلوكي المقلد للآخرين.

3. المستوى الاجتماعي: وتنجم مشكلاته بالضرورة عن المستويين السابقين، ففقدان الهوية، وضعف الثقة في الثقافة يحول بين أفراد هذه المجتمعات والتحيز باتجاه فكرة أو جماعة أو أمة على أساس فكرة أو ثقافة جامعة، ويحول كذلك دون التواصل المطلوب مع مصادر الثقافة، وتحديدا: القرآن والسنة والتراث الإسلامي.

4.المستوى السياسي: تنعكس المستويات السابقة في صورة سلوكيات تتجسد بالواقع الاجتماعي لأفراد المجتمعات العربية، وفي قدرة نظامها السياسي على وضع الخطط والأهداف التي تمكنه من النهوض بواقعها الاجتماعي انطلاقا من ثوابت هويتها الثقافية وتغيب عليه الفاعلية إذ كيف لمن فقد الثقة بنفسه وأمته وثقافته أن يكون إيجابيا، وفاعلا ثقافيا؟ فلا هو قادر على التفاعل مع نفسه وبناء ذاته ثقافيا، ولا هو قادر على التعامل مع التحديات الثقافية المعاصرة وتبعاتها، إذ أصبحت أغلب هذه المجتمعات تتعامل مع مشكلاتها الاجتماعية من منطلقين يعبران عن أزمة الفاعلية بها الأول منطلق الانسلاخ الكلي المهين عن ثوابتها والثاني منطلق المؤامرة المثبط لعزائم أفرادها في إمكانية النهوض وصناعة واقعها الجديد الذي تأمله

II. خاتمة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة التحليلية إلى أن النظام الاجتماعي للمجتمعات العربية اليوم يشهد تحولات كبيرة في ظل ما تبنته من تصورات الحداثة الغربية وما قامت عليه من مفاهيم جديدة عن طبيعة الأنظمة الاجتماعية بالمجتمعات الانسانية، تقوم على مفهوم الحرية الاقتصادية وما أنجبته هذه الحرية من ثقافة استهلاكية لم تؤثر فقط على النظام الاقتصادي وانما أعادت تشكيل البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات في مجرى الحياة اليومية ، فظهرت نتيجة لهذه الثقافة الاستهلاكية أشكالا جديدة من الأنظمة الاجتماعية غير المستقرة بالمجتمعات العربية، إضافة إلى اغتراب شبابها الذين هم قوتها البشرية، كما ظهرت بفضائها الاجتماعي روابط اجتماعية مفككة وقتية و متغيرة غير ذات بعد حقيقي في الحفاظ على تماسكها.

مقترحات الدراسة:

1. ضرورة التركيز على بناء مؤسسات تنشئة اجتماعية قادرة على صناعة الثقافة كوعي مشترك داخل الجماعة لا يشمل فقط الجانب الواعي من الثقافة المشتركة ولكن يشمل الجانب اللاواعي أيضا.
2. ضرورة العمل على الاستثمار في التربية الاجتماعية من أجل تحويل الثروات الاجتماعية (الفكرية، المادية والبشرية) من ثروات معطلة إلى رأس مال اجتماعي قابل للتداول والبناء
3. ضرورة التأسيس لإرادة سياسية واجتماعية تتجاوز الطابع الاستهلاكي لمنتجات الحضارة الغربية إلى إرادة فاعلة تعمل على الاستثمار بالمعادلة الاجتماعية للهوية الثقافية بالمجتمعات العربية من أجل الانطلاق بالمشروع الثقافي النهضوي لها.
4. تعزيز مكانة النخبة الاجتماعية في التأسيس لمشروع مجتمعي قادر على التأسيس لبناء ثقافي متجانس في مكوناته وقادر على مواكبة التحولات الثقافية العالمية دون الخروج عن مقومات هويته الأساسية.
5. تتمثل الخصوصية الثقافية ثروة اجتماعيةذات طابع اجتماعي وجب الاعتناء بها من خلال تنميتها انطلاقا من كونها ذات طابع اجتماعي.تفاعلي بصورة توجد معها العمل والنشاط الاجتماعي.

الإحالات والمراجع:

1. ادوارد تي هول(2007)، اللغة الصامتة، تر: لميس فؤاد اليحيى، ط1، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.
2. آرمان ماتلار(2008)، التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة خليل أحمد خليل، ط1، لبنان: دار الفارابي.
3. بشير عبد الفتاح(2007)، الخصوصية الثقافية، الموسوعة السياسية للشباب رقم:20، ط1، الاسكندرية: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
4. بريل بن حسن العريشي، سلمى بنت عبد الرحمن محمد الدوسري(2015)، الشبكات الاجتماعية والقيم: رؤية تحليلة، ط1، عمان: الدار المنهجية للنشر والتوزيع.
5. جلال أمين(2009)، العولمة، ط1، مصر: دار الشروق.
6. جيوفري نويل سميث، كينتين هور(1991)، غراميشي وقضايا المجتمع المدني، تر: فاضل جتكر، ط1، دمشق: دار كنعان للدراسات والنشر.
7. حليم بركات(2006)،الاغتراب في الثقافة العربية-متاهات الانسان بين الحلم والواقع-، ط1، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
8. الخنساء تومي(2016)، دور الثقافة الجماهرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، بسكرة: جامعة محمد خيضر.
9. صابر طعيمة(1984)، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي: بحوث حول العقائد الوافدة، ط1، لبنان: عالم الكتاب.
10. طلعت إبراهيم لطفي (2007)، علم الاجتماع التنظيم، ط2، القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع.
11. بد الرحمن بن ابراهيم الشاعر(2015)، مواقع التواصل الاجتماعي والسلوك الانساني، ط1، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
12. علي محمد رحومة(2005)، الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية: بحث تحليلي في الآلية التقنية للإنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية، ط1، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت: مركز دراسات، الوحدة العربية.
13. عمر كامل سقاوي(1988)، وحدة الحضارة، ط1، دمشق، سوريا: دار الفكر
14. عوفي مصطفى، بن بعطوش أحمد عبد الحكيم(2016)، تكنولوجيا الاتصال الحديثة ونمط الحياة الاجتماعية للأسرة الحضرية الجزائرية: أي علاقة؟، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد(26)
15. فرويد وآخرون(1986)، سيكولوجية العدوان: بحوث في ديناميكية العدوان لدى الفرد، الجماعة، الدولة، تر: عبد الكريم ناصيف، ط1، عمان: دار منارات للنشر.
16. لود دوبار (2006) ، أزمة الهويات-تفسير تحول-، ترجمة رندة بعث، ط1، لبنان: المكتبة الشرقية
17. كمال محمد المغربي(2004)، السلوك التنظيمي "مفاهيم وأسس، ط3، عمان: دار الفكر للطباعة والنشر.
18. مياء طالة(2014)، الاعلام الفضائي والتغريب الثقافي، ط1، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.
19. مالك بن نبي(2002)، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دمشق: دار الفكر.
20. مايك فيذرستون(د.ت)، ثقافة العولمة: القومية والعولمة والحداثة، تر: عبد الوهاب علوب، سلسلة الفكر، د.ط ، مصر: المجلس الأعلى للثقافة،
21. محمد عبد المنعم نور(1970)، المجتمع الإنساني، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.
22. محمد محمد الهادي(2001)، تكنولوجيا الاتصالات وشبكات المعلومات، القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
23. مختار مفتاح السنوسي(2008)، الاعلام الدولي الأسس والمفاهيم، د.ط، عمان: دار زهران للنشر والتوزيع.
24. مصطفى محمد أبو زيد(2005)، مقدمة في تكنولوجيا المعلومات، مصر: المكتب الجامعي الحديث.
25. هارلمبس هولبورن(2010)، سوشيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، ط1، دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.
26. دهود حورية(2012)، الاغتراب النفسي وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى المراهق الجانح، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس، فرع علم النفس الجنائي، جامعة المسيلة.